الباب الثالث

عمر بن الخطاب ﷺ

٣. ١. شخصية عمر بن الخطاب ﷺ

٣. ١. ١. شخصيته ﷺ قبل الإسلام وبعده

أ- نسبه ﷺ.

ب- قوته الشخصية.

ج - عبقريته / فراسته.

د- عدله وتقشفه وزهده.

٣. ١. ٢. عمر ﷺ وتفوقه العلمي.

أ- شهادة القرآن له بالعلم وحسن الاستنباط.

ب- شهادة السنة له بالعلم وسداد الرأي.

ج- شهادة السلف والخلف بتفوقه العلمي.

٣. ٢. خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وسياسته في الحكم

٣. ٢. ١. استخلافه ﷺ

٣. ٢. ٢. سياسة حكمه ﷺ

٣. ٢. ٣. الظروف الاجتماعية والسياسية في أيام عمر ﷺ.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٣. ١. شخصية عمر بن الخطاب ﷺ

٣. ١. ١. شخصية عمر ﷺ قبل الإسلام وبعده

٣. ١. ١. ١. نسبه ومولده

عمر بن الخطاب ﷺ في عداد أشراف مكة نسبًا، ومن أرفعها قدرًا، وأعلاها منزلة، فهو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي أبو حفص العدوي القرشي. (ابن كثير، ١٤٠٨هـ:١٥٠/٧)

ويجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي بن غالب، ويكنى أبا حفص، ويلقب بالفاروق، لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق الله به بين الكفر والإيمان.[١]

وأم عمر ﷺ حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ابن سعد، ١٩٦٨م: ٢٦٥/٣). وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة. فعلى هذا تكون أخت أبي جهل وعلى الأول تكون ابنة عمه.[٢]

وأما والده، فهو الخطاب بن نفيل، وكان معروفًا بشدَّته وغلظته، وكان رجلاً ذكيًّا، ذا مكانة في قومه، شجاعًا جريئا، كما كان فارسًا من فرسان العرب، شارك في العديد من الحروب والمعارك، وكان على رأس بني عدي في حرب الفجار، وقد تزوَّج "الخطاب" عددًا من النساء، وأنجب كثيرًا من الأبناء.(الصلابي، ١٤٢٣هـ :١٧)

وُلد ﷺ بعد الفجار الأعظم بأربع سنين وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة. (ابن حجر، ١٤١٢هـ: ٥٨٨/٤) وقيل في السنة الثالثة عشرة من ميلاد الرسول ﷺ بمكة،

---

(١) قيل لقبه بذلك رسول الله ﷺ، (أبو نعيم،١٤٠٥هـ:٤٠/١، السيوطي،١٩٥٢م:١١٤/١) وقيل أهل الكتاب (الطبري، ١٤٠٧هـ:٥٦٢/٢)، وقيل جبريل عليه السلام . (ابن حجر، ١٣٧٩هـ : ٤٤/٧.)

(٢) قال أبو عمر (ابن عبد البر، ب ت:٣٥٤/١): ومن قال ذلك- يعني بنت هشام- فقد أخطأ ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما؛ لأن هشامًا وهاشمًا ابني المغيرة أخوان، فهاشم والد حنتمة وهشام والد الحارث وأبي جهل. ووقع عند ابن منده: أن أم عمر أخت أبي جهل. وقال أبو نعيم: هي بنت هشام أخت أبي جهل وأبو جهل خاله... " (انظر ابن الأثير، ١٤١٥هـ: ١٣٨/٤). وهذا تصحيف نبه عليه ابن عبد البر وغيره. (ابن حجر، ١٣٧٩هـ: ٤٤/٧، الطبري، ١٤٠٧هـ:١٤/٥، الطبري، ب ت:٢٤٥/١، المزي، ١٩٨٠م: ٣١٧/٢١) وكان يقال لهاشم جد عمر: ذو الرمحين. (المزي،١٩٨٠م: ٣١٧/٢١)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وذلك بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. (ابن الأثير، ١٤١٥هـ:٤/١٣٨. السيوطي، ١٩٥٢م :١٣٣)

٣. ١. ١. ٢. قوته الشخصية.

كان عمر ﷺ قويا يحتذي في كل الجوانب والنواحي، فهو كما قال أحد الشعراء: (الأبشيهي، ١٩٨٦هـ: ١/٣٦٧)

هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله.

فقد نشأ عمر بن الخطاب ﷺ في مكة، وحظي في طفولته بما لم يَحْظَ به كثير من أقرانه من أبناء قريش، تعلَّم القراءة والكتابة، (هيكل، دت: ٣٧، الطريفي، ١٩٩٤م:١/١٠٣، الصعيدي، دت:١١٥) ولم يكن يجيدها في قريش كلها غير سبعة عشر رجلاً. وكان في قومه ذا مكانة مرموقة وبارزة، فقد أسهم بشكل فعال في أحداثه، وساعده تاريخ أجداده المجيد. فقد كان جده نفيل بن عبد العزى تحتكم إليه قريش في خصوماتها، فضلا عن أن جده الأعلى كعب بن لؤي كان عظيم القدر والشأن عند العرب، فقد أرخوا بسنة وفاته إلى عام الفيل. (الصلابي، ١٤٢٣هـ : ١٧)

اشتغل عمر ﷺ في شبابه بالرعي وكان يرعى في إبل أبيه وخالاته من بني مخزوم، ثم احترف عمر ﷺ التجارة، حتى بعد أن أصبح خليفة، أخرج ابن سعد (١٩٦٨م : ٣/٢٧٨و٢٩٣): قال أخبرنا يحيى بن حماد والفضل بن عنبسة قالا أخبرنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم:" أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يتجر وهو خليفة..."

وقد آتاه الله قوة وبسطة من الجسم وقد اكتسبت ذلك طبيعة عمله كراعي في بيئة مكة الصحراوية القاحلة التي ترعرع فيها ﷺ، فأجاد المصارعة، وركوب الخيل، والفروسية والرمي. (إبراهيم، دت :٢٢٦)

وكان ﷺ ليس قويا جسميا وبدنيا فحسب، بل كان قوي العزيمة والإيمان، صريحا حازما النفس، ويظهر ذلك من حبه الشديد وعاطفته الفياضة لرسول الله ﷺ . فقد روي أنه لما سمع رسول الله ﷺ يقول: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ حَتَّى نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ". فَيَقُولُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِي وَوَلَدِي وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ إِلاَّ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي. فقال الرَّسُولُ ﷺ : " لا يَا عُمَرُ ". فرجع الفاروق إلى نفسه وحبه للنبي ﷺ فقال: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ مَالِي وَوَلَدِي

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ حَتَّى نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي. فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ : " الآنَ يَا عُمَـــرُ ".[1] أي الآن اكتمل إيمانك يا عمر، أعلن عمر ﷺ صراحةً في بادئ الأمر أن حبه للنبي ﷺ أكثر من أي شيء إلا نفسه وهذه الصراحة دليل على قوته النفسية.

وكان في الجاهلية شجاعا مقداما لا يخاف أحدا، وهو كذلك في الإسلام شجاع لا يخاف إلا ربه، ومما يدل على ذلك إعلان اعتناقه دين الإسلام، فعن ابن عمر ﷺ قال:" لمـــا أسلم عمر بن الخطاب ﷺ لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أفشى للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا أتبع أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت. فقال: فوالله ما رد عليه كلمة، حتى قام عامدًا إلى المسجد، فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ. فقال عمرﷺ : كذب، ولكني أسلمت وآمنـــت بـــالله وصدقت رسوله. فثاوروه[2] فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رءوسهم، حتى فتر عمر، وجلس فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم. فبينا هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلة حرير، وقميص موشى، فقال: ما لكـــم؟ فقـــالوا: إن ابـــن الخطاب قد صبأ. قال: فمه؟[3]، امرؤ اختار دينًا لنفسه، أتظنون أن بني عـــدي تـــسلم إلـــيكم صاحبهم؟ قال: فكأنما كانوا ثوبًا انكمش عنه. فقلت له بعدُ بالمدينة: يا أبت، من الرجل الـــذي رد عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل.[4] (ابن حبان ١٤١٤هـــ: (٦٨٧٩)، ابن الأثير، ١٤١٥هـــ:١٤٢/٤، ابن كثير، ١٤٠٨هـــ: ١٠٢/٣)

وتكمن وراء تلك القوة قوة أخرى مكينة لولاها لهـــزت الحماســـة وثقلـــت الصعاب، هي قوة العقيدة المغروسة في قلب عمرﷺ، وهي القوة الإيمانية الحقة، الـــتي تغلغلـــت واستمكنت ضميرهﷺ، وأضفت عليه قوة تنطبع على سلوكه كله. ولذا كان حازمـــا في كـــل شيء، فإنه إذا تكلم كان واثقا في كلامه، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، وإذا اتجـــه كـــان واضحا في اتجاهه، فقلما يعرف التردد، وقلما تزحزحه العواطف العاتية عن مواقفه.

---

(١) قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح (أحمد، ١٤٢٠هـــ: (١٨٩٦١)

(٢) من كلمة ثار ثورا وثؤورا وثورانا بمعنى وثب، والمثاورة المواثبة والمساورة (ابن منظور، دت: ١٠٨/٤، ابن دريد، دت: مادة: ث ر و)

(٣) استفهام بمعنى فما يكون.

(٤) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي (ابن حبان١٤١٤هـــ: ٣٠٢/١٥)

وكان أواها أوابا خاشعا ضارعا مخبتا منيبا ذلت له نفسه في الله، مهيبا هيبة يفتقدها كثير من شخصيات المسلمين اليوم نزع الله منهم الهيبة فلا يهابون، ونزع الله من قلوبهم خوفه، فصاروا يخافون من الناس، كان عمر رضي الله عنه شخصية رفيعة يهابه الناس، فيرتعدون منه ومن ذلك ما حصل لما استأذن على رسول الله ﷺ وعنده جواري قد علت أصواتهن على صوته فأذن له عليه الصلاة والسلام فبادرن الحجاب، هربن فذهبن، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك "فقال أضحك الله سنك[1] يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما الخبر؟ علام تضحك؟ قال: عجبت لجوارٍ كنّ عندي، فلما سمعن حسك بادرن فذهبن، فأقبل عمر عليهن من وراء حجاب، فقال أي عدوات أنفسهن، والله لرسول الله ﷺ كنتن أحق أن تهبن منه، فقال رسول ﷺ دعهن دعهن عنك يا عمر، فوالله إن لقيك الشيطان في فج قط إلا أخذ فجا غير فجك إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ ". ولت الشياطين الدبر فَرَقًا وخَوْفًا من هذا المؤمن المُؤَيد بنصر الله، ويئست منه أن تصرفه عن عزائم الأمور، أو الوسوسة له بالشر، فليس هذا من شأنها معه.[2] (أحمد، ١٤١٦هـ: (١٦٢٤). ابن سعد ١٩٦٨م: ١٨١/٨، أيوب: ٧٧)

هذا هو عمر رضي الله عنه الذي تفرد بين الصحابة بالصرامة والصراحة والقوة في الحق، والشدة في دين الله. وكان إسلامه فرجا للمسلمين الضعفاء، بل كان صدى لدين الإسلام، الذي ما تجرأ ممن أسلم أن يفعل كما فعل عمر رضي الله عنه .

٣. ١. ١. ٣. عبقريته وفراسته.

كان رضي الله عنه رجلا حكيما، بليغا، قويا، حليما، شريفا، قوي الحجة واضح البيان، وقد أكسبته حرفته قبل الإسلام من الرعي إلى التجارة، ثقافة اجتماعية متعددة الأعراف والتقاليد، ومكنه من اطلاع ومعرفة أحوال الناس وطرائق معاشهم، والإحاطة بجغرافية بلاد فارس الذي كانت لها عظيم الأثر أثناء إدارته مقاليد الحكم وسياسته في الحروب معهم، وهذا ما جعله يتملك عقلا ذات خبرة ودراية، فضلا عن فطنته وذكائه، الذي توارث عن والده وعن أجداده. فقد أهله هذه الصفات الجميلة لأن يكون سفيرا لقريش، ومفاخرا ومنافرا لها مع القبائل متى ما نشبت الحروب بينهم وبين غيرهم. (السيوطي، ١٩٥٢م، ٩٩/١)

---

(١) قال العظيم آبادي في (عون المعبود) في معنى : أضحك الله سنك : أي أدام الله فرحك وسرورك.

(٢) إسناده صحيح . (أحمد، ١٤١٦هـ: (١٦٢٤) ورواه البخاري (١٤٠٧هـ: (٣٤٨٠) في مناقب عمر رضي الله عنه، وأخرجه مسلم، ١٤١٧هـ: (٢٣٩٦) في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه. وكلها بألفاظ مختلفة .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وكانﷺ يتولى القضاء والحكم في الجاهلية قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن الفضيل قال حدثنا صدقة بن المثنى النخعي قال: سمعت رباح بن الحارث يقول : كان عمر بن الخطاب يقضي فيما سبت[1] العرب بعضها من بعض قبل الإسلام، وقبل أن يبعث النبيﷺ أن من عرف أحدا من أهل بيته مملوكا في حي من أحياء العرب ففداه العبد بالعبدين والأمة بالأمتين. (ابن سعد، ١٩٦٨م: ١٥٣/٦)

ولما أسلم ﷺ رافق النبيﷺ وصاحبه حتى اكتسب من تلك الصحبة فطنة وذكاء إضافية سليمة نيرة صقلته الإسلام، مع ما وهبه الله من مواهب وفضائل فطرية، حتى أصبح عبقريا من عباقرة المسلمين، إذ عجز الدارسون عن الإحاطة بسيرته وشخصيته وأعماله، وتحليل عبقريته، فهو شخصية فذة.

فقد رأى النبيﷺ في المنام رؤيا تدل على عبقرية عمرﷺ، روى البخاري قال:" حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبيد الله حدثني أبو بكر بن سالم عن سالم عن عبد الله بن عمر : أن النبي ﷺ قال : " رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن". (البخاري ١٤٠٧هـ، (٣٤٧٩).

وبهذا يعتبر عمرﷺ العبقري الفذ، أوتي ذكاءً مبدعًا متوقدًا، أفاضه عليه ربه سبحانه فكانت الحكمة تخرج من نواحيه، وارتفع إلى أعلى مستويات الذكاء الإنساني وشجاعة التفكير، وحسن التعليل، فالتقت في عبقريته أعمق رؤى البصيرة وأدق أسرار الشريعة.

هذا عن عبقرية عمرﷺ وفطنته.

وأما عن فراسته فقد ورد أنه ﷺ كان يخطب على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة فعرض له في خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض فقال لهم: ليخرجن مما قال. فلما فرغ سألوه فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا، وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه. قال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر

---

(١) سبت يسبُت: القطع. والمسبت، الذي لا يتحرك. وأصله من السبت بمعنى الراحة والسكون أو من القطع وترك الأعمال. (ابن منظور: ٣٦/٢. الرازي ١٤١٥هـ: ٣٢٦)

Prince of Songkla University Pattani Campus

في ذلك اليوم قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا.[1] (ابن حجر، ١٤١٢هـ:٦/٣، ابن الأثير، ١٤١٥هـ : ١٥٣/٤)

وهذه غيض من فيض مما ألهمه الله له من الكشف والفراسة.

٣. ١. ١. ٤. عدله وتقشفه وزهده. (ابن الأثير، ١٤١٥هـ: ١٤٧/٤)

إذا ذكر عمر ذكر العدل وإذا ذكر العدل ذكر عمر ﷺ ، وهكذا اقترن العدل بعمر وعمر بالعدل، ويضرب بعدله المثل. (ابن الأثير، ١٤١٥هـ: ١٥٣/٤)

وإذا نظرنا إلى سيرته في الجاهلية فإنه كان شديد البأس على المسلمين يؤذيهم كما تؤذي كفار قريش ضعفائهم الذين أسلموا. ولكن أين هذا البطش بعد أن أسلم. بل أصبح عكس ما كان عليه في الجاهلية، عكس التوجه والعمل والسيرة. لأنه كان دائم الرقابة لله في نفسه وفي عماله وفي رعيته، بل حينما تولى الخلافة وأصبح رأس الأمة، شعر بوطأة المسئولية عليه حتى تجاه البهائم العجماء فيقول: والذي بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب. قال أبو زيد آل الخطاب يعني نفسه ما يعني غيرها." (الطبري، ١٤٠٧هـ: ٥٦٦/٢، ورواه أبو نعيم ١٤٠٥هـ: ٥٣/١)

وغدا يتابع ويراقب ويمحص نفسه أولا ثم عماله، حتى أنه كان إذا بعث عاملاً كتب ماله، حتى يحاسبه إذا ما استعفاه أو عزله عن ثروته وأمواله، وكان يدقق الاختيار لمن يتولون أمور الرعية، أو يتعرضون لحوائج المسلمين، ويعد نفسه شريكًا لهم في أفعالهم.

فكان إذا أتاه الخصمان يختصمان في أمر برك على ركبتيه ويقول: اللهم أعني عليهما، فإن كل واحد منهما يريدني على ديني .(ابن سعد، ١٩٦٨م:٢٨٩/٣، المتقي الهندي، ١٩٨٩م: (١٤٤٢٤)

وقد روي في شدة عدل عمر وورعه أنه لما أقام عمرو بن العاص ﷺ الحد على عبد الرحمن بن عمر في شرب الخمر، نهره وهدده بالعزل؛ لأنه لم يقم عليه الحد علانية أمام الناس، وأمره أن يرسل إليه ولده عبد الرحمن، فلما دخل عليه وكان ضعيفًا منهكًا من الجلد، أمر عمر ﷺ بإقامة الحد عليه مرة أخرى علانية، وتدخل بعض الصحابة ليقنعوه بأنه قد أقيم عليه

(١) قال الألباني، ١٤١٢هـ: إسناده صحيح، (١١١٠) ، وقال ابن حجر في الإصابة: إسناده حسن. (١٤١٢هـ:٦/٣)

الحد مرة فلا يقام عليه ثانية، ولكنه عنفهم، وضربه ثانية و عبد الرحمن يصيح: أنا مريض وأنت قاتلي، فلا يصغي إليه. وبعد أن ضربه حبسه فمرض فمات (ابن حجر،١٤١٢هـ:٥/٤٤)[1]

ورغم الشدة التي رأيناها فأنه كان حليما رؤوفا بالرعية. روى البخاري قال: ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه:" يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه"، قال:" سأستأذن لك عليه". قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال:" هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر:" يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩) وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله". (البخاري١٤٠٧هـ: (٤٣٦٦). وجاء في خطبة له قال:"وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعته وأمرت أبا عبيد بن الجراح، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة فقال: والله ما اعتذرت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله ﷺ وأغمدت سيفا سله رسول الله ﷺ ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ وقطعت الرحم وحسدت ابن العم. فقال عمر بن الخطاب : إنك قريب القرابة حدث السن مغضب في ابن عمك". (ابن عساكر. دت: ١/ ٣٥٠٤)

وعن زهده ﷺ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:" خرج عمر بن الخطاب ﷺ يوماً إلى بستان نخيل له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر ﷺ : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أُشهدكم أن حائطي على المساكين صدقةٌ، ليكون كفارةً لما صنع عمر ﷺ . (الذهبي، ١٤٠٦هـ: ١٧)

وقال طلحة بن عبد الله ﷺ : ما كان عمر بن الخطاب ﷺ بأولنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة ، ولكن كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة . (ابن الأثير، ١٤١٥هـ: ١٤٧/٤، ابن أبي شيبة، ١٤٠٩هـ: (٣٢٠١٢)

---

(١) وقد عقب حسن أيوب (١٤٢٣هـ: ٩٦) على الرواية درأ ظن البعض أن عبد الرحمن مات من جلد عمرﷺ حيث قال:" فيحسب بعض الناس أنما مات من جلد عمر، و لم يمت من جلد عمر".

Prince of Songkla University Pattani Campus

وعن أنس ﷺ قال : لقد رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه. (ابن سعد. ١٩٦٨م: ٣/ ٣٢٧، ابن حجر ١٣٧٩هـ:١٣/٢٧١) وفي رواية (ثلاث رقاع) (ابن الجوزي ١٣٩٩هـ: ١/ ٢٨٤)

٣. ١. ٢ . عمر ﷺ وتفوقه العلمي

٣. ١. ٢. ١. شهادة القرآن له بالعلم وحسن الاستنباط.

يمتاز عمر بن الخطاب ﷺ بقدر كبير من الإيمان والتجريد والشفافية، وعرف بغيرته الشديدة على الإسلام وجرأته في الحق، كما اتصف بالعقل والحكمة وحسن الرأي، وقد جاء القرآن الكريم، موافقًا لرأيه في مواقف عديدة، وهذا وإن دل فإنه لا يدل إلا على تفوق عمر ﷺ من الناحية العلمية وهي كشهادة قرآنية له ﷺ -أي شهادة من الله عز وجل- على حسن الاستنباط وإبداء الرأي، وأية شهادة أعظم من تلك. فقد كان يستحق تلك الشهادة لأنه كان عابدا ربانيا يراقب ربه في كل أموره، حتى غدا يعبد الله كأنه يراه. فأجرى الله عز وجل الحق على لسانه وقلبه. فعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر" (الهيتمي ١٩٩٧م: ١/٢٨٧)

وسنورد هنا طرفًا من موافقات القرآن الكريم لآراء الفاروق ﷺ .(محب الدين، ١٤١٧هـ: ١٩-١١١، ابن الجوزي، ١٩٩٦م: ٢٥)

أ- أسرى غزوة بدر (محب الدين، ١٤١٧هـ: ٨٥)

شارك عمر ﷺ في غزوة بدر، وعندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه بعد المعركة في شأن الأسرى، وقد كان رأي الصديق والرسول ﷺ فداء الأسرى بالأموال، وتعليم المسلمين القراءة والكتابة، وكان من رأي الفاروق عمر ﷺ قتل هؤلاء الأسرى. ونزل القرآن الكريم موافقًا لرأي الفاروق عمر بن الخطاب.(القرطبي،١٣٧٢هـ: ١٤/١٩٧، مسلم، ١٩٧٢م: (٢٣٩٩) والآية هي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٧).

ب- الصلاة في مقام إبراهيم ورأيه في الحجاب وترك الصلاة على المنافقين

قال أبو حاتم الرازي : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : وافقني ربي في ثلاث أو وافقت ربي في ثلاث

قلت يا رسول الله-ﷺ - لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت :﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥) وقلت : يا رسول الله لو حجبت النساء فنزلت آية الحجاب[١] والثالثة: لما مات[٢] عبد الله بن أبي جاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه قلت : يا رسول الله تصلي على هذا الكافر المنافق ؟ فقال: إيها عنك يا ابن الخطاب، فنزلت ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٨٤) (مسلم، ١٤١٧هـ: (٢٣٩٩)، ابن كثير، ١٤٢٠هـ:١٩٣/٤، الهيتمي، ١٩٩٧م: ٢٨٨/١، محب الدين، ١٤١٧هـ: ٨٥)

ج- استئذان الأطفال. (محب الدين، ١٤١٧هـ: ٩٢)

كان من رأي الفاروق ﷺ استئذان الأطفال قبل الدخول، عند بلوغ الأطفال مرحلة الحلم، فنزل القرآن الكريم موافقًا لرأي عمر بن الخطاب ﷺ " يروى أن رسول الله ﷺ بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فوجده نائما قد أغلق عليه الباب فدق عليه الغلام الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر وجلس، فانكشف منه شيء، فقال عمر:" وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت، فخر ساجدا شكرا لله.[٣] وهي قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا

---

(١) قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾ (الأحزاب: ٥٣)

(٢) قال عمر: لَمَّا تُوُفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَتَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ الْقَائِلِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا- يُعِدُّ أَيَّامَهُ- قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْتَسِمُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ (التوبة: ٨٠). لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ. قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، وَمَشَى مَعَهُ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الآيَتَانِ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ . رواه البخاري، ١٤٠٧هـ: (٤٣٩٣). ورواه مسلم، ١٤١٧هـ: (٢٤٠٠).

(٣) أخرجه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة (انظر ابن حجر، ١٤١٢هـ: ٦١/٦، وابن الأثير، ١٤١٥هـ: ١/ ٩٩٩)

عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور:٥٨) (انظر: القرطبي ١٣٧٢هـ: ١٢/ ٢٧٦)

د- عمر وتحريم الخمر (محب الدين، ١٤١٧هـ: ٦٩)

قال عمر: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ الآية، (البقرة: ٢١٩) قَالَ فَدُعِيَ عُمَرُ: فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً. فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ (النساء: ٤٣). فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى أَلَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ. فَدُعِيَ عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً. فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) . قَالَ عُمَرُ:"انْتَهَيْنَا، انْتَهَيْنَا".[1] (ابن كثير ١٤٢٠هـ: ٣٠٨/٢، القرطبي، ١٣٧٢هـ: ٢٦٦/٦، النسائي، ١٤٠٦هـ: (٥٥٤٠).

وهذه الآيات تدل على أن عمر كان يدعو الله أن يعطيه البيان الشافي في مسألة الخمر التي هي عند رغبة عمر رضي الله عنه أن يحرمه الله ﷻ، فجاء القرآن موافقا لهواجس عمر رضي الله عنه، وكان الحكم تدرجا يعطي للشريعة الإسلامية المرونة ودرء المشقة، واللطف في البيان.

٣. ١. ٢. ٢. شهادة السنة له بالعلم وسداد الرأي

لقد بلغ عمر شأوا عظيما في العلم والفقه في الدين، لا يماريه أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وقد اتضح لنا في شهادة القرآن له رضي الله عنه وضوح الشمس في كبد السماء على أنه رضي الله عنه ذو علم.

وكذلك أشاد الرسول ﷺ على ما حباه الله تعالى من نعمة الفهم والتفقه في الدين لعمر رضي الله عنه ، ونوه الصحابة رضي الله عنهم أن ينهلوا منها. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال :" بينما أنا نائم. إذ رأيت قدحا أتيت به، فيه لبن فشربت منه إني لأرى الري يجري في أظافري. ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب". قالوا: فماذا أولته ذلك يا رسول الله؟ قال:

---

(١) صحيح (الألباني ١٤١٩هـ: (٣٦٧٠) و (١٤٢٠هـ: (٣٠٤٩)

العلم. (البخاري١٤٠٧هـ:(٨٢) وهذا دليل على غزارة علم عمر ﷺ. قال ابن حجر (١٣٧٩هـ: ٤٦/٧) :" والمراد بالعلم هنا: العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول اللهﷺ".

وعن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ :" بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره). قالوا ما أولت يا رسول الله ؟ قال: الدين". (البخاري١٤٠٧هـ: (٦٦٠٦) ومسلم، ١٤١٧هـ: (٢٣٩٠)، وهذا الحديث يدل على علم عمر وتفوقه مجال الدين والتفقه فيه.

وعن سعد بن أبي وقاص ، قال رسول الله ﷺ :"... والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك ". (البخاري١٤٠٧هـ: (٣١٢٠)، مسلم، ١٤١٧هـ: (٢٣٩٦)

وهذا من قوة بصيرة علم عمرﷺ التي حباها الله له، أصبح شياطين الإنس والجن يهابون منه ﷺ .

عن جابر قال : قال النبي ﷺ " رأيتني دخلت الجنة، فإذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة. وسمعت خشفة فقلت ما هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت: لمن هذا ؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأَنْظُرَ إليه، فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! أعليك أغار ". (البخاري١٤٠٧هـ: (٣٤٧٦)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :" لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر". (البخاري١٤٠٧هـ: (٣٤٨٦)

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:"اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة".[١] (الحاكم: (٤٤٨٥)

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ".[٢]

وروى أيضا عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب".[١] (الترمذي: (٣٦٨٦)، الحاكم: (٤٤٩٥)

---

(١) حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. (الألباني، ١٤١٢هـ: (٣٢٢٥).

(٢) قال الشيخ الألباني (١٤٢٠هـ: (٣٦٨٢):"حسن".

Prince of Songkla University Pattani Campus

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب".[٢] (الحاكم: (٤٤٩٥)

وبوقفة تأمل في هذه التزكيات العطرة نجد أنها تفيد أن عمر ﷺ كان على مترلة عظيمة لا يدانيه أحد من الصحابة ﷺ أجمعين. يعتبرﷺ فقيه هذه الأمة الإسلامية الأول بلا منازع، لا يكابر في ذلك إلا معاند. (الرحيلي، ١٤٠٣هـ: ٣٢/١)

٣. ١. ٢. ٣. شهادة السلف والخلف بتفوقه العلمي

حقيقة أن شهادة القرآن والسنة على علو علم وفقه عمر ﷺ كافية لإثبات تفوقه العلمي، واعتباره فقيه الأمة. ولكن استئناسا وحب معرفة تزكيات أصحابه ﷺ وأقوال العلماء من السلف والخلف في حق فقيههم عمر ﷺ ، سنورد طرفا منها.

فيما سبق ذكرنا أن عمر ﷺ شديد الحرص على حضور مجالس العلم بين يدي الرسول ﷺ لا يترك واحدة منها تفوته. فقد كان يتناوب الذهاب إلى مجلسهﷺ مع أحد أصحابه الأنصاري من بني أمية بن زيد، يترل يوما، ويترل صاحبه يوما، كل يأتي بجديد من أقوال الرسول ﷺ. ولذا لم يفته آية أو حديث أو أمر صدر من حبيبهﷺ. وهذا الحرص جعله راسخ القدم في التزود بما يعينه على فهم كتاب الله وسنة رسولهﷺ. واكتسب من خلال ذلك تربية نبوية راشدة، معرفة وتعمقا في مقاصد هذا الدين ومصالحه العظيمة، يذكر أن عمر ﷺ استأذن الرسول ﷺ إلى العمرة فقال له ﷺ : " لا تنسنا يا أُخَيّ في دعائك"، فقال عمر :" ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: يا أخي" (الترمذي، دت: (٣٥٦٢)[٣].

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ يعترف بغزارة علم عمر ﷺ، حيث قال:" لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة أخرى لرجح علم عمر بعلمهم". (ابن عبد البر، ١٣٨٧هـ:٣/ ١٩٨، مالك، ١٩٩١م:٥٥/١) وقال أيضًا:" إني لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمر ﷺ ". (ابن عبد البر، ١٣٨٧هـ:٣/ ١٩٨، ابن الأثير ١٤١٥هـ: ١٤٦/٤، الطبراني، ١٩٨٣م:(٨٨٠٩). وروي أنه ﷺ إذا ذكر عنده عمر ﷺ أخذ يبكي حتى يبتل الحصى من دموعه، ثم يقول: "إن عمر كان

---

(١) قال الشيخ الألباني (١٤١٢هـ: (٣٢٧): "حسن"، وقال الذهبي: "صحيح". (الحاكم: (٤٤٩٥)

(٢) قال الذهبي: "صحيح". (الحاكم: (٤٤٩٥) الجراحي، ١٩٨٨م: ١٨٤/١)

(٣) قال أبو عيسى:" هذا حديث حسن صحيح". (الترمذي، دت: ٥٥٩/٥)

Prince of Songkla University Pattani Campus

حصناً حصيناً للإسلام".[1] "وما رأيت عمر إلا وكان بين عينيه ملكاً يسدده"، "كان إسلام عمر عزاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة...". (ابن حجر ١٣٧٩هـ: ٤٨/٧)

وقال ابن عمر رضي الله عنهما:" ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال عمر بن الخطاب، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر".[2] (الترمذي: (٣٦٨٢)

وقال وهب السوائي قال: خطبنا علي ﷺ فقال : من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلت أنت يا أمير المؤمنين. قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمرﷺ .[3]

هؤلاء من المقربين لعمر ﷺ أقروا بأنه ﷺ خير الصحابة وأفقههم. وقد قيل لأبي بكر الصديق ﷺ حينما استخلف عمر ﷺ بالخلافة من بعده: ماذا تقول لربك إذا قدمت عليه غدا، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب، فقال: أجلسوني، أبالله ترهبوني؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم. (ابن سعد،١٩٦٨م:٢٧٤/٣) . وفي رواية: أقول وليت عليهم خيرهم. (الهيتمي ١٩٩٧م:٢٨٣/١)

و لم يطمع عمرﷺ العلم لنفسه فقط، بل حث أصحابه على التفقه قبل الانشغال إما بالسيادة أميرا كان أو زوجا. فعن سفيان قال: قال الأحنف: قال لنا عمر بن الخطاب: " تفقهوا قبل أن تسودوا[4] ".(ابن أبي شيبة ١٤٠٩هـ: (٢٦١١٦) قال سفيان: لأن الرجل إذا أفقه لم يطلب السؤدد. (ابن الجوزي، ١٩٧٩م : ٢/ ٢٣٦)

هذا هو عمر بن الخطابﷺ الذي لم يكن يحمل العلم ويحفظه دونما فقه، ويفتي بفتاوى جامدة، بل كان يتمتع بنظر ثاقب، وفهم سديد، يتحرك في كل الجهات يعرف لكل موقف ما يناسبه، وقد وصفته السيدة عائشةﷺ في ذلك فقالت: " كان والله أحوذيا، نسيج وحده، فقد أعد للأمور أقرانها ".[5] (الطبراني(ب)،١٩٨٥م:(١٠٥١)

---

(١) وقد رواه ابن أبي شيبة وهو صحيح. (آل عيسى، ١٤٢٣هـ:٤٤٧)

(٢) حديث صحيح (الألباني، ١٤٢٠هـ: (٣٦٨٢).

(٣) إسناده صحيح، (أبو عروبة الحراني، ١٩٩٨م: ٤٩) (الهيثمي، ١٤١٢هـ:(١٤٤٢٨) ، أبو نعيم، ١٤٠٥هـ: ٤٢/١)

(٤) قال البخاري (١٤٠٧هـ: ٣٩/١):" معنى (تُسَوَّدُوْا) تصبحوا سادة ورؤساء لأنهم ربما استنكفوا عن الفقه والعلم عندئذ. (انظر: اليحيى ١٤١٧هـ: ٣٢٠)

(٥) قال الهيثمي ١٤١٢هـ: (١٤٣٣٧)٣٤/٩: "رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طرق ورجال أحدها ثقات". (وقال أبو بكر القطيعي : صحيح". (١٩٩٣م: ٤٩٠)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وذكاء عمر واسع عميم، ونظراته الثاقبة تجلي كل غامض، وتدخل الحنايا فتكشف الخفايا، وتنفذ إلى غور الأمور، وكان عليمًا بأحداث الدنيا وأسرار الحياة.

وكان عمر ﷺ ذا فقه عظيم بطبائع النفوس، لا تغره المظاهر، ولا يكتفي بالنظرة العابرة لتكوين أحكام على الآخرين فهو يقضي بذكائه لا بعواطفه، ولا يرضى بأحكام جزئية ممزقة، بل تتراحب أبعاد فكره الوقاد، لإيجاد الحلول الناجحة للمشاكل الواقعة.

يروي أبو وائل شقيق بن سلمة فيقول: حدثني الصبي بن معبد- وكان رجلا من بني تغلب- قال: إن رجلا كان نصرانيا يقال له الصبي بن معبد أسلم فأراد الجهاد فقيل له ابدأ بالحج فأتى الأشعري فأمره أن يهل بالحج والعمرة جميعا ففعل، فبينما هو يلبي إذ مر يزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة، فقال أحدهما لصاحبه: لهذا أضل من بعير أهله، فسمعها الصبي فكبر ذلك عليه، فلما قدم أتى عمر، فذكر ذلك له فقال له عمر ﷺ: " هديت لسنة نبيك ". قال: وسمعته مرة أخرى يقول: " وفقت لسنة نبيك ".[1] وفي رواية فأقبل عمر عليهما، فلامهما ثم أقبل عليّ فقال. فذكره. (ابن كثير، ١٤٠٨هـ: ٥/ ١٤٦)

فمن سنة النبي ﷺ القران بين الحج والعمرة، وهو الجمع بينهما، فكأن من اعترض على ذلك لم يكن له العلم بالمسألة، أو ظن أنها من الأحكام المنسوخة.

وكان عمر ﷺ يمنع الجمع، وكأنه ﷺ يرى جواز ذلك لبعض المصالح، ويرى أنه جوز النبي ﷺ لذلك، فكأنه كان يرى أن من عرض له مصلحة اقتضت الجمع في صفة، فالجمع في حقه سنة، والله أعلم. وهذا فيه ما فيه من الفقه العميق لعمر ﷺ .

ويستشعر المرء من كلمات الفاروق ﷺ الحرص على إتباع الحق، مع مراعاة المصلحة المعتبرة بمقاصد الشرع، كيف لا وهو يستمد علمه وثقافته وتربيته من الينبوع المتدفق دوما وهو كتاب الله الذي كان يترل على رسول الله ﷺ منجما على حسب تدرج الوقائع والأحداث.

وأمام هذا الفيض الرباني الذي يغذي المواهب ويفجر العبقريات، وقف عمر والصحابة ﷺ على معانيه وتعمقوا في فهمه وتأثروا بمبادئه، وكان له الأثر العميق في نفوسهم

---

(١) قال شعيب الأرنؤوط (أحمد ١٤٢٠هـ: ٢٢٧) : "إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين". ورواه أصحاب السنن: أبو داود، ١٤١٨هـ: (١٧٩٨)، النسائي (٢٧١٩). وقال الألباني ، ١٤٠٥هـ: ٤/١٥٣-١٥٤): "صحيح".

وأفكارهم وقلوبهم وأرواحهم. حتى أصبح المنهج القرآني منهجهم في التربية والتعليم. الذي يبثونه لكل طالب علم ممن جاء بعدهم.

ولذا نرى أن اجتهاد سيدنا عمرﷺ تحت دراسة كثير من الباحثين اليوم، يستقصون منها أحكاما لوقائع وأحداث العصر. وكان حقا ينبوعا يستقي منه المعاصرون في حل قضاياهم المستجدة في كثير من المجالات الفقهية والسياسية والاقتصادية. وخصوصا في فقه المقاصد وفقه المصالح والموازنة.

٣. ٢. خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وسياسته في الحكم

٣. ٢. ١. استخلاف عمرﷺ [١]

لما أحس أبو بكر بدنو أجله استشعر بالخوف من أن يعود الاختلاف على الخلافة بين المسلمين سيرته الأولى، فيضعف شوكتهم، ومن ثم يتمكن العدو منهم.

ولهذا رأى ببعد نظره الثاقب احتياطا وتلافيا لما يخبئه المستقبل من المخاطر أن يستخلف أو يعيِّن من يتولى أمر المسلمين أحد الصحابة المتصف بالشدة في غير عنف، لينا في غير ضعف، فكانت هذه الصفات متلازمة في كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلا أنها لأحد رجلين أكثر تلازما وتوافرا هما عمر بن الخطاب ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ، إلا أن الأول ربما يريد الأمر فيرى في طريقه عقبة فيدور إليه، والثاني يرى الاستقامة لا يبالي بالعقبة تقوم بين يديه، فهو بهذا إلى الشدة أميل منه إلى اللين. (النجار، دت: ١٠٩، حركات، ١٩٨٥م:٥١)

روي أن أبا بكر سأل عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: عبد الرحمن ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني. فقال : أبو بكر، وإن! فقال عبد الرحمن:"هو والله أفضل من رأيك فيه"، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال:" أخبرني عن عمر؟ فقال أنت أخبرنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان:" اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله"، فقال أبو بكر : يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معهما سعيد بن زيد أبا الأعور، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد:

---

(١) للاستزادة فيما ورد من إشارات نبوية في استخلاف عمرﷺ، انظر كتاب دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ﷺ (آل عيسى، ١٤٢٣هـ: ٥٤٧/٢ وما بعدها، اليحيى ١٤١٧هـ: ٣٨٣، كنعان ١٤١٧هـ: ١١٧)

"اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، و لم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. (ابن سعد، ١٩٦٨م: ٣/١٩٩)

واستشار أيضا عدد من الصحابة، فوجدهم يميلون كما يميل هو إلى عمر بن الخطابﷺ، إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته، فقال: لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك. وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما عليه. ثم كتب عهدا مكتوبا [١] يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد.[٢]

وليضمن الفتنة التي قد تنشب من إعلان ذلك العهد على الملأ، وبعد أن جالس أبو بكرﷺ عمر بن الخطاب، ورفض عمر بما عزم أبو بكر، وتهديده له بالسيف، إلى أن قبل عمر (القلقشندي ١٩٨٥م: ١/٤٨)، أشرف أبو بكر على الناس وقال:" أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله. فقام علي فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر قال: فإنه عمر". (السيوطي، ١٩٥٢هـ: ٧٤) وفي رواية أخرى:" أترضون بمن أستخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا". (الطبري، ١٤٠٧هـ:٢/٣٥٢) ثم دعا أبو بكرﷺ ربه قائلا:" اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيا، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما

---

(١) قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحدا فكتب عثمان إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ علي ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيرا والله إن كنت لها لأهلا. (ابن سعد ١٤١٠هـ:٣/٢٠٠)

(٢) نص العهد:" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له و أطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل، فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته". (السيوطي، ١٩٥٢م:٧٤)

Prince of Songkla University Pattani Campus

أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، أصلح اللهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته".

وقد كلف أبو بكر عثمان بن عفان بقراءة العهد بعد توثيقه بختمه حرصا على إمضاء الأمر دون أي آثار سلبية. وقال عثمان للناس:" أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعا ورضوا به. (ابن سعد،١٩٦٨م:٣/٢٠٠)

ثم اختلى الصديق ﷺ بعمر وأوصاه بما فيه صلاحه ورعيته، وحتى يقدم إلى ربه راضيا بعد أن بذل ما وسعه من جهد واجتهاد، وقد جاء في الوصية:" اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئة فإذا ذكرتهم قلت إني لأخاف أن لا ألحق بهم وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه" (ابن الجوزي، ١٩٧٩م:١/٢٦٤-٢٦٥)

وفور انتقال الخليفة الأول ﷺ إلى الرفيق الأعلى باشر عمر ﷺ أمر الخلافة، كثاني الخلفاء الراشدين، بإجماع المسلمين.

من الملاحظ على الخطوات التي اتخذها الصديق ﷺ في استخلاف عمر، أنها مغايرة تماما عما كان في بيعة السقيفة، التي كانت شورى بين المسلمين، فهل خالف أبو بكر ﷺ عملية الشورى المنصوص عليها في قوله تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ . (الشورى:٣٨)

والجواب على ذلك: على الرغم من التساؤلات التي نتجت من عملية استخلاف عمر ﷺ ، التي رؤي للبعض أنها لم تمت إلى تطبيق مبدأ الشورى، وكأنها تعيين ومحاباة.!فإن الملاحظ مما سبق ذكره في أحداث الاستخلاف، أن أبا بكر ﷺ لم يعين ولم يختر عمر ﷺ بمحض برأيه واجتهاده الفردي، وإنما رئي له أن عمر أفضل مرشح بالنسبة له للقيام بهذا المهام بعد

مشاورة عدد من خواص الصحابةﷺ،[1] وقوله (أترضون... ؟) وكذلك تكليفه عثمان بن عفانﷺ بقراءة العهد على الناس، وإرساله إلى أمراء الأجناد لإعلانه على الملأ، على أن يبايعوا عمرﷺ، يعطي دلالة على أن الأمر ليس بيده وحده، وإنما هو متوقف على رضا المسلمين به ورضا عمر نفسه. ولو رفض عمر أو رفض المسلمون هذا الترشيح ما وسعه أن يلزمهم على قبوله. وهذا إشعار من أبي بكرﷺ على الأمر للأمة، وأنها صاحبة العلاقة والاختصاص.

ولو كان فعل الصديقﷺ اختيارا واستخلافا فعليا لما كان هناك ما يدعو لأن يبايع الناس عمرﷺ بعد ذلك، فبيعة الناس لعمر ﷺ هي التي جعلته خليفة، وما انعقدت خلافته إلا بهذا دون غيره. (عودة، دت: ١٢١)

ويلحظ أن الخطوات التي اتبعها الصديقﷺ في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في يوم السقيفة. (الصلابي، ١٤٢٣هـ:٨٨)

وهذا الاجتهاد يعتبر اجتهادا فيما لا نص فيه، ويدخل تحت أصل المصالح المرسلة. وسيكون لنا حديث له في المباحث الآتية.

٣. ٢. ٢. سياسة عمرﷺ في الحكم

على منوال سلفه أبي بكر الصديقﷺ ساس عمر بن الخطاب الدولة الإسلامية التي حينها بدأت تتسع رقعتها. فعندما بويع بالخلافة ألقى بيان الخلافة أمام رعيته، يبين لهم أسلوب حكمه ومدى التزامه بنهج الله ورسولهﷺ، ثم منهج خليفة رسول الله الأول أبو بكرﷺ.

وقد أظهر عمرﷺ في خلافته حسن السياسة والحزم والتدبير، والتنظيم للإدارة والمالية، فرسم خطط الفتح وسياسة المناطق المفتوحة والسهر على مصالح الرعية وإقامة العدل في البلاد. وكان لا يَستحلُّ الأخذ من بيت المال إلا حلّةً للشتاء وأخرى للصيف وناقة لركوبه، وَقُوته كقُوت رجل متوسط الحال من المهاجرين.

ومما يدل على ذلك خطبه ورسائله إلى الولاة والقادة التي تعبر بدقة عن شعوره العميق بالمسؤولية تجاه الدين والرعية مع حسن التوكل على اللّه والثقة بالنفس.

---

(١) وإن قيل وقع اعتراض من بعض الصحابة، كاعتراض طلحةﷺ، فإنه ليس اعتراض في قوته وأمانته وتفضيله بعد أبي بكرﷺ واستحقاقه للخلافة، وإنما كان خشية من غلظته وخشونته. (الصلابي، ١٤٢٣هـ:٩٠)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقد اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر[1]. قيل أن أول خطبة خطبها قوله ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه:" أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسنا، ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم". وقيل أن أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال:" اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني". (ابن سعد، ١٩٦٨م: ٢٧٤/٣)

وروي أن أول خطبة له بعد ما تولى الخلافة قوله بعد ما صعد المنبر:" ...ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف". (المتقي الهندي، ١٩٨٩م: (٤٤٢١٤) وفي رواية قال عمر : "إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف". (ابن حجر. ١٤٠٧هـ:١٥١/١٣)

وقيل أنه لما استخلف عمر، صعد المنبر فقال:" إني قائل كلمات فأمنوا عليهن" وقال:" إنما مَثَلُ العرب مَثَلُ جملٍ أُنْفٍ اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق". (ابن أبي شيبة ١٤٠٩هـ: (٣٢٤٧٣)، الطبري، ١٤٠٧هـ: ٣٥٥/٢)

قال بعضهم أن خطبته بعد أن تولي الخلافة هي :" يا أيها الناس، إني داع فأمنوا. اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم...". (صفوت. دت: ٢١٣/١، المتقي الهندي: (١٤١٨٦)

وروي أنه بعد يومين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته وبطشه، وأدرك عمر أنه لا بد من تجلية الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنه مع النبيﷺ وخليفته أبي بكر ﷺ، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال... " ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم علي أيها الناس، خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي أن لا أجتبي شيئا

(١) انظر (مبيض ١٤٢١هـ: ٢٦٥٣/٥ وما بعدها).

من خراجكم، ومما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم، ولكم علي ألاّ ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النصيحة فيما ولاّني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم". (بدوي. ٢٠٠٠م. : ١٦٠)

ومن خلال تصوص هذه الخطب[١] تبين لنا حسن سياسته ومنهجه وأسلوب حكمه الذي لم يحد عنه ولو طرفة عين، وأبرزها:-[٢]

١- الخلافة تكليف وواجب وابتلاء، وليست جاها وشرفا واستعلاء، وسيحاسب عليه.

٢- تولية أفضل الأمراء وأكفأهم، ومراقبتهم حق المراقبة والمحاسبة.[٣]

٣- الشدة والتنكيل والهوان على الظلم ومتعد الحقوق.

٤- الرحمة والعدل والمساواة على من آثر القصد والعفاف والدين. وقد نجح عمر في تطبيق هذا الأمر على صعيد الواقع والتنفيذ نجاحا منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول، حتى اقترن اسمه بالعدل.

٥- الدفاع عن الأمة ودينها وتقوية الثغور. وتوقيت مدة المكوث فيها.

٦- رعاية أسرة المقاتلين أو الجيوش، حال وجودهم في الجبهة أو حال أداء مهامهم في الثغور.

٧- أداء الحقوق المالية على أتم وجه من خراج وفيء، مع زيادة العطايا. وضبط المؤسسات المالية للدولة.

---

(١) وعلق د.الصلابي (١٤٢٣هـ:٩١) على هذه الروايات المختلفة في أول خطبة الخلافة لعمر، بأن:" بالإمكان الجمع بينها، إذا افترضنا أنه ألقى أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءا فرواه، وحفظ آخر جزءا غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي، والإداري والعظة الدينية..."

(٢) للمزيد راجع : الصعيدي، دت: ١١٩-١٢١

(٣) وقد قال ﷺ، في عمّاله :"اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم، ولا ليضربوا أبشارهم (من البَشَرة وهي ظاهر الجلد)؛ من ظلمه أميرُه فلا إمرة عليه دوني". وانظرمبيض ١٤٢١هـ: ٥/٢٦٥٨-٢٦٥٩)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٨- ضبط نفقة الخليفة بما يكفيه وأسرته من بيت المال. قال عمر : "إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف". (ابن حجر. ١٤٠٧هـ:١٥١/١٣، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٨١)

٩- إشاعة الرقابة في المجتمع بتقديم النصح والمشورة للخليفة،[1] والسمع والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- ومن حسن سياسته أنه أول من اتخذ قرار رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم حيث قال:" كرهت أن يكون السبي سنة في العرب.

١١- توسيع نطاق مبدأ الشورى. وإمضاء نظام الحكم بها. لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة التي ولدت مشكلات جديدة وقضايا لا نص فيها من كتاب ولا سنة، ولذا احتاجت إلى توسيع مجال الاجتهاد. وكان يقول: لا خير في أمر أبرم من غير شورى". (الطبري،١٤٠٧هـ:٦٠١/٢) وقوله:" الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرارا لا يكاد ينتقض". وقوله:" شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل". (المتقي الهندي،١٩٨٩م: (٨٧٧٠) (٤٤١٩٦) ١٣٤٠/٣، البيهقي، ١٤١٠هـ: (٩٤٤٢)

١٢- كفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها. وكفل عمر ﷺ حرية الاعتقاد، وتشهد ذلك حركة الفتوحات الإسلامية في عهده، التي كانت تعطي الحرية لأهلها في التمسك بدينها، ولم يكرههم على اعتناق الإسلام. وروي أن لعمر عبدا نصرانيا حدث في السن، لما دعاه إلى الإسلام أبى قال: (لا إكراه في الدين) فلما حضرته الوفاة أعتقه، وقال له: اذهب حيث شئت.

وكانت اليهود والنصارى يمارسون معتقداتهم كامل الحرية. وكان عمر يعفى الجزية عن أهل الذمة عندما يعجزون عن تسديدها. (الزيلعي، ١٣٥٧هـ: ٤٥٣/٧)

وهنالك حريات أخرى مارسها عمر ﷺ، كحرية التنقل، وحرية الملكية وحق الأمن وحرمة المسكن، وحرية الرأي.

وهنالك إنجازات أخرى إدارية وحضارية لعل أهمها -على سبيل المثال-: (انظر، طلبة، ١٣٩٧هـ:٣٤-٤١)

---

(١) قال عمر :" أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي". (السيوطي، ١٩٥٢م:١١٦/١)

Prince of Songkla University Pattani Campus

١. تدوين الـدَّواوين، وقد اقتبس هذا النظام من الفرس، فأسس ديوان الجند الـذي يشبـه في أيامنا وزارة الدفاع، وديوان الخراج الـذي يـشبه وزارة الماليـة. (أحمـد، ١٤٠٣هـ: (٤٦٤)، الزيلعي، ١٣٥٧هـ : ٤/ ٣٤٥)

٢. تنظيم[١] بيت مال المسلمـين وتعـيين القضاة والكتّاب وجعل التـاريخ الهجري أساس تقويم الدولة الإسلامية كـما نظَّـم البريـد. (الطـبري، ١٤٠٧هـ:٣/٢، الخضري، ١٩٨٢م: ١٢١، اليحيى، ١٤١٧هـ: ٢٨٥ ، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٧٨)

٣. اهتمامه بالرعية فمن ذلك تفقده أحوال المسلمين وعسّه بالليل.[٢](ابن سعد، ١٩٦٨م:٢٨٢/٣، الأصبيعي (دت): ١٣ ، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٧٩).

٤. جمع الناس في التراويح على إمام واحد، في سنة أربع عشرة، وجعل للنـاس قارئين، قارئا يصلي بالرجال وقارئا يصلي بالنساء. (الطبري، ١٤٠٧هـ:٥٧٠/٢، الـسيوطي، ١٩٥٢م:٢٤/١، ابن الجوزي،١٩٩٦م: ٦٤-٦٦، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٧٩)

٥. إبقاء الأراضي المفتوحة بأيدي أهلها الأصليين بدلا من تقسيمها بين المحاربين على أن يدفعوا عنها الخراج. وقنن الجزية على أهل الذمة، فـأعفى منـها الـشيوخ والنـساء والأطفال.

٦. توسعة مسجد الرسول ﷺ، فأدخل فيه دار العباس بن عبـد المطلـب رضي الله عنه، وفرشه بالحجارة الصغيرة. (أحمد، ١٤٠٣هـ: (٤٦٦)، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٨٠)

٧. تقسيم البلاد المفتوحة إلى ولايات وتعيين عمال، على كل ولاية عاملا، له راتب محدد يأخذه من بيت مال المسلمين، وكان يختار الولاة ممن يُعرفون بالتقوى وحسن الإدارة دون النظر إلى أحسابهم وأنسابهم.

٨. إنشـاء عدة مدن في البـلاد المفتوحة – تمصير الأمصار- مثـلِ البـصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر وغيرها، لتكون مركزا للدولة الإسلامية في تلك الـبلاد.

---

(١) إنما قلت تنظيم بدل إنشاء، لأن البيت المال كان موجودا في عهد أبي بكر.

(٢) وقصته- المعروفة- مع المرأة التي كانت تدق لأطفالها الجياع على الحصى، وتوهمهم أنها تطبخ لهم، حتى يسكتوا وينامو ... حتى إذا جاء عمر ورأى ما رأى حمل بنفسه الطحين والسمن، وطبخ بيده الطعام، ...وأطعم الأولاد حتى شبعوا ولعبوا. تشهد على مدى اهتمامه بهم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

(الطبري، ١٤٠٧هـ:٢/٤٣٨و٤٨٢، القلقشندي، ١٩٨٥م: ١/٩٢، أيوب، ١٤٢٣هـ : ٧٩)

وهذا النجاح الباهر لسياسة عمر بن الخطاب ﷺ لم تتحقق بصورتها المثلى في عهد أيٍّ من عهود الخلفاء والحكام مثلما تحققت في عهدهﷺ الذي جمع بين التراهة والحزم، والرحمة والعدل، والهيبة والتواضع، والشدة والزهد. ونجح في تأسيس أقوى امبراطرية عرفها التاريخ تمتد من بلاد فارس وحدود الصين شرقًا إلى مصر وإفريقية غربًا، ومن بحر قزوين شمالا إلى السودان واليمن جنوبًا. لقد استطاع عمر ﷺ أن يقهر إمبراطوريتين برعاياه العرب الذين كانوا إلى عهد قريب قبائل بدوية، يدبُّ بينها الشقاق، وتثور الحروب لأوهى الأسباب، تحرِّكها العصبية القبلية، وتعميها عادات الجاهلية وأعرافها البائدة، فإذا بها – بعد الإسلام – تتوحَّد تحت مظلَّة هذا الدين الذي ربط بينها بوشائج الإيمان، وعُرى الأخوة والمحبة، وتحقق من الأمجاد والبطولات ما يفوق الخيال، بعد أن قيَّض الله لها ذلك الرجل الفذّ الذي قاد مسيرتها، وحمل لواءها حتى سادت العالم، وامتلكت الدنيا.

٣. ٢. ٣. الظروف الاجتماعية والسياسية في عصر عمر بن الخطاب ﷺ

لكل عصر من عصور التاريخ ظروفها وتغيراتها حسب تطورات المدنية الاجتماعية والحالة السياسية والاقتصادية.

فبساطة الحياة في عصر النبوة وخليفته الأول أبي بكر الصديقﷺ ، ومحدودية الدولة الإسلامية، وقلة معتنقيه لها ظروفها الخاصة، وتطوراتها ونهضتها من حيث ترتيب نظم الحياة وما يطرأ فيها من الحوادث والأمور المستجدة التي تحتاج إلى أحكام جديدة.

ولكن هذه الحياة البسيطة لم تدم طويلا، بل تطورت فيما بعد إلى أبعد مدى، ويمكن القول أن عصر عمر ﷺ كان أخصب عصر بداية النهوض والتغيرات التي قلبت الظروف الاجتماعية والسياسية (الإدارية والمالية).

وقد أصبح الدين الإسلامي له المكانة العليا والكلمة المسموعة في جزيرة العرب، وصارت تسيطر على العناصر الجاهلية التي كانت مظاهر الانقسام والتشتت والمحاربة بين البعض دأبهم ودستور حياتهم. وكل ذلك بفضل حسن تدبير الخليفة عمرﷺ الذي أحكم دعائم الدولة وجعل الإسلام دستوره.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وبذلك استطاع عمر إزالة ومحو الجهل بأمور الدين وسياسة الدولة التي كانت عشوائية، قبل مجيء الإسلام.

ووضع عمر ﷺ نهاية لكثير من العادات والتقاليد الموروثة الساذجة التي تحكم المجتمعات في ذلك العصر.

وبهذا توطدت الدولة الإسلامية أركانها وصارت ذات سلطنة ومؤسسة لدولة مقننة، بنظم وتراتيب إدارية حيرت العالم، حتى استطاعت أن تزاحم الأمم العريقة حينذاك (الفرس والروم)، وغدا أمة الإسلام أعظم الأمم.

وهذا النمو والنهضة السريعة التي تتدفق في كل أفق الحياة وعناصرها، يؤذن بانقلاب نهضوي إسلامي ينعش في كل جزء من أجزاء المدنية والسياسية.

وكان حسن تدبير عمر ودقة فهمه وفقهه في تنظيم مسيرة الأمة الإسلامية بداية من ترسيخ الدين الإسلامي في قلوب المسلمين، وجعلهم أمة إسلامية متحدة وارثة للأمم اللاحقة، أبلغ الأثر في استمكانهم في الأرض وجعل أهلها أئمة ومن ثم جعلهم هم الوارثين. كما وعد الله تعالى بذلك.

وبسبب سياسته المحكمة تزلزل سلطان أعظم القوى العالمية حينذاك وهم الفرس والروم، وقد استطاعت الأمة الإسلامية السيطرة بقيادته الرشيدة على تلك الأمم ومحا تاريخهم من الوجود، بل بفضل ذلك وطئت أقدامهم البلاد التي لم يتخيلوا و لم يخطر ببالهم أنهم سيصلون إليها.

وقد صير عمر العالم المليء بالاستبداد والظلم والقهر والاستعباد وكبت الحرية عدلا ورحمة. وغدا أهلها يحبوا حبوا يتسابقون إلى الإسلام بحثا عن الاطمئنان، والاستقلال والاعتماد على الذات، لطول معاناتهم من سطوة وقسوة ملوكهم وأباطرتهم وأشرافهم الإقطاعيين.

وذلك لأن الهدف السياسي النبوي المحتوي على مبادئ الأخوة والمساواة التي تركها الرسولﷺ ميراثا لمن بعده بيضاء نقية، واحتوته الخلفاء الراشدون الذين لم يجعلوا يوماً من الجهاد مصيدة للغير أو سبيل كسب لنصر أو شهادة خال من الهدف: وإنما كان الجهاد في زمانهم مشرط جراح حمل العافية، وفتح الطريق أمام الشعوب المقهورة وقتها، ليكونوا في حمى نظام الأمر الإسلامي، من أسلم منهم ومن بقي على دينه حيث الكرامة الموفورة للجميع.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومعلوم أن الخلفاء الراشدين لم يجبروا أهل الأمصار المفتوحة على الـــدخول في الإسلام وإنما فقط الخضوع للحكم القائم على منظومة الأمر الإسلامية، وهي منظومة إعجازيـــة جعلت الإسلام ينتشر كبرق متلاحق، فبلغ بتلك المفاهيم السياسية الرائعة في خمسين عاماً مـــا لم تبلغه الإمبراطورية الرومانية طيلة فترة حكمهم، وجعل معظم البلاد التي دخلها في تلك الفتـــرة عربية إلى اليوم.

ولأن للإسلام القيم السياسية العليا وهي فروض إسلامية وليست محسنات، مما ولد أول جمهورية دستورية في التاريخ، إمامها منتخب من الجمهور ومحكوم بقيم ملزمة لا تفرق بينه وبين الجمهور في الحقوق العامة، وعليه يمكن القول أن الإسلام سبق شعار الثورة الفرنسية حرية إخاء مساواة، بآيات فارضة قال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٠) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل : ٩٠) وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: ٣٨)

وبسبب علو همم وطموحات عمرﷺ في بلوغ مقصد وغاية الدين الإســـلامي، المتمثل في قوله ﷺ :" بلغوا عني ولو آية". (البخاري ١٤٠٧هـــ: ٣٢٧٤) أحكم في تربية نفسه أولا ثم أمرائه وجنودهم – الذين في ميادين الجهاد والثغور- المواجهة لأعتى وألد أعداء الإســـلام مبدأ الاعتماد على الله وتقواه، ومن ثم الاعتماد على الخبرة والخطة والتنظيم وحسن التوظيف.

Prince of Songkla University Pattani Campus